

لعلها كانت نقطة الضعف لدى فئة من بنات فلسطين اللاتي نشأن في نفس الفترة ونفس الظروف التي عاشتها الكاتبة ، فتاة غضة يانعة في أرضها الحبيبة ، ثم مهاجرة غريبة - غربة الروح والنفس - تكد وتعمل في سبيل العيش الكريم ، وتسعى وتناضل من أجل العودة الظافرة مع جموع اللاجئين ، حيث تأمل ان تنعم بحياة طبيعية سعيدة في مستقبل الأيام . ولكن الأيام طالت والسنوات أخذت تكرر ، واضطرتها الحياة الى التنازل على المستوى الشخصي ، والرضا والاقتران بما هو موجود وما هو كائن ، وعاشت حياتها كغيرها من بنات حواء .

وفي الفترة التي شهدت تجربة الوحدة العربية وثورة العراق ثم انتكاسة هذه الثورة ، خرجت الى النور مجموعتها القصصية الثالثة التي اعتبرت تمة للمجموعة الثانية ، سواء في موضوعاتها التي استقتها من الواقع المحيط بها والفكرات المخزونة في عقلها الباطن من أيام الطفولة ، أو في أسلوب السرد والحوار المحكمين والبناء الغني المتقن . وحملت السنوات الثلاث التالية مزيدا من التجارب والاحداث في حياة الكاتبة ومن حولها في بيروت ، وعاشت سيرة حياة ثقافية خصبة كان لثرائها أثر في تطور فنها القصصي خاصة انها عكفت على دراسة اسس هذا الفن ، وترجمت كتابين هامين في القصة القصيرة والقصة القصيرة الأمريكية ، بالإضافة الى عدد من القصص القصيرة والروايات الأمريكية المعروفة والهامة . وكان نتاج هذه الفترة مجموعتها الرابعة « الساعة والانسان » ثم الخامسة التي طبعت بعد وفاتها « العيد من النافذة الغربية » .

يطول بنا الحديث لو أخذنا بتحليل قصص المجموعات الأربع الباقية قصة قصة كما حاولنا في المجموعة الأولى اعلاه . ولذلك يحسن بنا ان نحدد الموضوعات التي طرقتها الكاتبة والاحداث والشخص التي صورتها ، وكيف استطاعت التعبير عن تلك الاحداث والشخص والموضوعات في مختلف القصص المتناثرة بين مجموعاتها الأربع ، خاصة ان هناك دائما خيطا رقيقا يجمع بين القصص ، ويعطيها - بصورة عامة - ميزة في سيرة عزام .

سيرة عزام فتاة فلسطينية ، حملت قضية بلدها وعاشت بها متنقلة بين الاقطار : فلسطين كانت حياتها ، وفلسطين كانت مقتلها ومماتها - اذا صح التعبير - وبالرغم من ان القصص الفلسطينية في مجموعتها ليست غزيرة الكم والعدد ، الا انها من حيث الكيف تعتبر قمة في التعبير عن المأساة منذ اول وقوعها ، واحداث التشرذم والجوء ونفسية الفلسطيني وما تعرض له من ضغوط وظروف قاسية ومريرة ، قابلها جميعا بالصبر والعمل والصمود تارة ، والحقد والثورة والتمرد تارة اخرى . هناك قصتان تصوران كفاح ابناء فلسطين ونضالهم ضد قوى الشر والطغيان ، الاولى منهما تحكي قصة معلم شاب من ابناء قرية « بتير » في ضواحي القدس ، كان يخمل البندقية في الليل ، يخرس القرية مع رفاته ويدافع عنها امام خطر الاعتداءات الصهيونية عام ١٩٤٨ . وفجأة نفذت ذخيرته ، ولم يكن امامه الا ان يموت مكانه هو وزوجه وطفله البريء ، او يرحل مع قلول النازحين « في الطريق الى برك سليمان » ، وانتصرت ارادة الحياة ، وفي رقة متناهية نصف القاصة مشاعره ومشاعر زوجه ساعة الرحيل ، مودعين بيتا صغيرا عرف حبهما وكفاحهما المبكر معا ، وحديقة غرساها شجرة شجرة . . ولعل رصاص الأعداء ، واصاب صغيره الذي يحمله بين يديه ، وركض بالجسد الميت خشية ان تراه زوجه فتصعق . وتحنت شجرة لوز سخية حفر حفرة صغيرة اراحه فيها ثم اهل عليها التراب برفق ، حفنة حفنة « ولم يقرأ صلاة ما ، فقد أخرسه الحقد » .

صورة مؤلمة من صور الهجرة الفلسطينية تكررت كثيرا في تلك الأيام . أما قصتها « خبز